وقوله (إذ أمرتك) ظرف (لتسجد) وتعليق ضميره بالأمر يقتضي أن أمر الملائكة شامل له إما لأنه صنف من الملائكة فخلق ا إبليس أصلا للجن ليجعل منه صنفا متميزا عن بقية الملائكة بقبوله للمعصية وهذا هو ظاهر القرآن وإليه ذهب كثير من الفقهاء وقد قال ا تعالى : (إلا إبليس كان من الجن) الآية وإما لأن الجن نوع آخر من المجردات وإبليس أصل ذلك النوع جعله ا في عداد الملائكة فكان أمرهم شاملا له بناء على أن الملائكة خلقوا من النور وأن الجن خلقوا من النار . وفي صحيح مسلم عن عائشة (Bها) : أن رسول ا A قال : " خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار " وإلى هذا ذهب المعتولة وبعض الأشاعرة وقد يكون المراد من النار نورا مخلوطا بالمادة ويكون المراد بالنور نورا مجردا فيكون الجن نوعا من جنس الملائكة أحط كما كان الإنسان نوعا من جنس الحيوان أرقى .

وفصل : (قال أنا خير منه) لوقوعه على طريقة المحاورات .

وبين مانعه من السجود بأنه رأى نفسه خيرا من آدم فلم يمتثل لأمر ا تعالى إياه بالسجود لآدم وهذا معصية صريحة وقوله : (أنا خير منه) مسوق مساق التعليل للامتناع ولذلك حذف منه اللام .

بمنزلة لأنها فصلت فلذلك (منه خير أنا) : لجملة بيان (نار من خلقتني) : وجملة A E عطف البيان من المبين .

وحصل لإبليس العلم بكونه مخلوقا من نار بإخبار من الملائكة الذين شهدوا خلقه أو بإخبار من ا تعالى .

وكونه مخلوقا من النار ثابت قال تعالى : (خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار) وإبليس من جنس الجن قال تعالى في سورة الكهف : (فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) .

واستند في تفضيل نفسه إلى فضيلة العنصر الذي خلق منه على العنصر الذي خلق منه آدم .

والنار هي الحرارة البالغة لشدتها الالتهاب الكائنة في الأجسام المصهورة بأصل الخلقة كالنار التي في الشمس وإذا بلغت الحرارة الالتهاب عرضت النارية للجسم من معدن أو نبات أو تراب مثل النار الباقية في الرماد .

والنار أفضل من التراب لقوة تأثيرها وتسلطها على الأجسام التي تلاقيها ولأنها تضيء ولأنها زكية لا تلصق بها الأقذار والتراب لا يشاركها في ذلك وقد اشتركا في أن كليهما تتكون منه الأجسام الحية كلها .

وأما النور الذي خلق منه الملك فهو أخلص من الشعاع الذي يبين من النار مجردا عن ما في النار من الأخلاط الجثمانية .

والطين التراب المختلط بالماء والماء عنصر آخر تتوقف عليه الحياة الحيوانية مع النار والتراب وظاهر القرآن في آيات هذه القصة كلها أن شرف النار على التراب مقرر وأن إبليس أوخذ بعيان أمر ا عصيانا باتا وا تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم قد علم استحقاق آدم ذلك بما أودع ا فيه من القوة التي قد تبلغ به إلى مبلغ الملائكة في الزكاء والتقديس فأما إبليس فغره زكاء عنصره وذلك ليس كافيا في التفضيل وحده ما لم يكن كيانه من ذلك العنصر مهيئا إياه لبلوغ الكمالات لأن العبرة بكيفية التركيب واعتبار خصائص المادة المركب منها بعد التركيب بحسب مقصد الخالق عند التركيب ولا عبرة بحالة المادة المجردة فا تعالى ركب إبليس من عنصر النار على هيئة تجعله يستخدم آثار القوة العنصرية في الفساد والاندفاع إليه بالطبع دون نظر بحسب خصائص المادة المركب هو منها وركب آدم من عنصر التراب على هيئة تجعله يستخدم آثار القوة العنصرية في الخير والصلاح والاندفاع إلى ازدياد الكمال بمحض الاختيار والنظر بحسب ما تسمح به خصائص المادة المركب هو منها وكل ذلك منوط بحكمة قواهم العنصرية في الخيرات المحضة والاندفاع إلى ذلك بالطبع دون اختيار ولا نظر بحسب خصائص عنصرهم . ولذلك كان بلوغ الإنسان إلى الفضائل الملكية أعلى وأعجب وكان مبلغه إلى الرذائل الشيطانية أحط وأسهل . ومن أجل ذلك خوطب بالتكليف